التَّناص في السِّيَر[1] (الرسائل) العُمانية

الباحث/ خميس بن راشد بن سيف المنذري
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس – سلطنة عُمان

مقدمة

تُعَدُّ السِّيَر (الرسائل) جزءًا من مكوِّنات الثقافة العُمانية القديمة، فهي نصوص تناقش قضايا حياة المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وتصوِّر حركته الفكرية والثقافية في مسيرة بنائه الحضاري. ولقد سعى كتَّاب الرسائل إلى استلهام التراث والاستعانة به في إبداعاتهم، وجعلوه رابطًا بين نصوصهم والمتلقي، لأن القارئ ينتمي بطبعه إلى إرث حضاري يمثل هويته، ويُمثِّل لديه منظومة من القِيَم المشتركة ذات سلطة قولية يمكن للكاتب توظيفها لتقوية خطابه، ولتشكيل حلقة تواصل الغرض منها مخاطبة ذاكرة القارئ الثقافية.

وتدخل هذه الرسائل ضمن مفهوم النَّص الحداثي الذي أُشير إليه أنه لا ينبثق من العدم بل إنه يتفاعل مع الأحداث انطلاقًا من خلفية نصية تشكلت في مراحل متعددة. ومن تعريفاته أنه: "**جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من النصوص السابقة عليه أو المتزامنة معه؛ فالنص إذن إنتاجية** "[2]. ويعرِّفه محمد مفتاح بقوله: "**النَّصُّ مدونة كلامية، أهم ما يميِّزه أنه حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه مطلقًا،**

[1]) السِّيَر، هو نمط من كتابة الرسائل بدأ في القرن الأول الهجري عند علماء الإباضية بالبصرة، ثم انتقل إلى عُمان في القرن الثاني الهجري، وتلك فترة يغلب على موروثها التوجه الدينيُّ والأسلوب الأدبيُّ، ثم تطوَّر ليشمل كل المجالات والحقول الحضارية التي أسسها العُمانيون، وقد توقفنا بالبحث عند القرن التاسع لأن السِّيَر العُمانية اتخذت هيئة جديدة بداية القرن العاشر تعنى بتدوين التراجم والكتابة التاريخية..

[2]) جوليا كريستيفا، علم النَّص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، ص ٢١.

ويتصف بأنه تواصلي، وتفاعلي يؤدي وظيفة تفاعلية، وهو مغلق من حيث سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية، ومن الناحية المعنوية هو توالدي، متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية.. وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له. فالنَّص إذن، مدوَّنة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"[١]. ويقول رولان برت: "**إن التناصية في حقيقتها استحالة العيش خارج النص اللامتناهي**"[٢].

وعلى هذا الأساس سندرس علاقة الرسائل العُمانية القديمة مع الموروث الحضاري ومدى انسجام ذلك المزاج النصيِّ مع أنساقها فيما يعرف بـ "**التناص**"؛ إذ "**هو تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة**"[٣] وتقانة مخصوصة "**قد أصبحت في غاية الأهمية لكونها تؤدي إلى تحديد هوية النص الأدبي ومنحة أبعادًا تضفي عليه صفة العمق والجدة**"[٤]؛ فظاهرة التناص إذن تمثل علاقة حضور بين نصين أو أكثر، سواء كان بالتضمين أو الاقتباس أو التلميح أو الاستلهام، وأن هذه العلاقة حتمية بين المبدع ومحيطه من خلال استحضار نصٍّ أو موقفٍ أو حدثٍ فيثري به ما ينتجه سواء أكان ذلك بوعي منه أو بغير وعي.

وعن ضرورة التناص للإبداع الفنِّيَّ يقول محمد مفتاح: "**التناص شيء لا مناص منه لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما، ومن تاريخه الشخصي أي من ذاكرته. فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضًا**"[٥]. ويتضح أيضًا أن التناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين، إذ يعتمد في تمييزها وإدراك

---

[١]) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢، ص ١٢٠.

[٢]) رولان بارت، لذَّة النّص، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص ٧٠.

[٣]) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص ١٢١.

[٤]) أحمد جبر شعث، جماليات التناص، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص ١٨.

[٥]) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص ١٢٣.

أبعادها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته بالأجناس الأدبية، حتى يتمكن من ترجيح حقول التناص ومواقعها ومصادرها وأصولها النصوصية وفاعليتها في بناء النَّص[1].

وللوقوف على العلاقة الرابطة بين نصوص السِّيَر (الرسائل) العُمانية وظاهرة التناص سنلتمس ما استحضره كتَّابها من المصادر الدينية والموروث الثقافي والفكري والتاريخي لتحقيق مقاصدهم وأغراضهم، ولتفعيل التكافؤ الثقافي بين المتخاطبين سواء كان هذا التناص مباشر باجتزاء قطعة من النص أو النصوص السابقة، أو غير مباشر باستنباط روح النص ومعانيه، وتقتصر دراستنا في هذا البحث على مصدرين أساسيين للتناص، هما:

- **التناص مع القرآن الكريم.**
- **التناص من الأحداث التاريخية.**

التناص مع القرآن الكريم

يُعَدُّ الخطاب القرآني مادة غنية لكل المبدعين على مر العصور لما يحمله من ثروة لغوية وتعبيرية وإيحائية، بالإضافة إلى الجوانب الروحية وتأثيره النفسي في الكاتب والمتلقي. ولقد حاول كتَّاب الرسائل العُمانيون امتلاك قدرات إبداعية بتوظيفهم الخطاب القرآني في الخطاب الترسّلي، وسنناقش نماذج من التناص القرآني المدرج ضمن هذه الرسائل حسب تسلسلها التاريخيِّ وتصنيفنا لها سياسية فاجتماعية فعسكرية.

ففي رسالة [2]عهد الإمام الصلت بن مالك (ق٣هـ) إلى وَالِيه عند تعيينه على الرستاق يوظِّف الكاتب تركيبًا قرآنيًا يحث على اتباع اللين في التعامل مع الرعيَّة وخفض الجناح لهم، قال: "**فمن قِبَلِ ما أوصيته به وأجاب دعوتك واستقام على ذلك فاخفض لأوليائك جناحك، وألن لهم جانبك واقبل منهم وأحسن إلى محسنهم**"[3]. ومرجع هذا التناص الآية: ﴿ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]، والآية: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

---

[1]) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص ١٣١. (بتصرف).

[2]) عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، مسقط، ط٢، ١٣٥٠هـ، ج١، ص ١٨٤.

[3]) تحفة الأعيان، ج١، ص ١٨٤.

[4]) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. ففي الآيتين توجيه قرآني للرسول ﷺ في كيفية التعامل مع أصحابه وجاء في سياقين مختلفين، وقد استطاع الكاتب نقل المعاني في الآيتين من سياقها الواردة فيه وتوظيفها في توجيه الوالي لاتباع أفضل الطرق في تعامله مع رعيته وذكر المستقيمين منهم خاصة ليكون التناص حقق غرض الكاتب ولا يخرج كثيرًا عن السياق العام للخطاب القرآني وهو أن الطرف الثالث المخصوص بالمعاملة هم الصالحون من الرعية وهذا ينسجم مع التوجِّه القرآني الذي يشير إلى الصحابة الكرام.

ومن الظواهر التناصية التي استعملها الكاتب توظيف المفردة القرآنية، إذ جمع أكثر من مفردة من سُوَر مختلفة وساقها ضمن دلالتها القرآنية لتوجيه الوالي في معالجة آفات المجتمع الداعية إلى الفرقة والفساد، قال: "**وازجرهم عن العصيان والحميات**[2]، **فإنها من صفات الجاهلية**[3] **فانْهَ عن ذلك وقَدِّمَ فيه**[4]، **وأخمد ذلك واطفه، وحذرهم الفتنة والبغي والضغائن والفساد والهمز واللمز لبعضهم بعضًا، فأن ذلك يورثهم الإحن فيما بينهم**"[5]. فمفردة الحميَّة مرتبطة بمفردة الجاهلية وهي سمة مذمومة في المجتمع المسلم، ومن خلال سياقها القرآني أضافت قدسية على النص الخطابي كما في الآية الكريمة: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[6]. والآية السابقة لها كانت تتكلم عن المجتمع المكي الكافر برسالة محمد ﷺ ومنعه وأصحابه من دخول مكة وأداء العمرة قبل الفتح. أما المفردتان القرآنيتان الهمز واللمز فقد وظفهما الكاتب لخدمة السياق نفسه، وتناصهما زاد الخطاب سعة وعمقًا في الدلالة، وزاد على ذلك قدرة الكاتب إدماج مفردات غير قرآنية إلى التناص شكلتا معًا تحذيرًا قويًا من الأثر الحسي والمعنوي على لحمة المجتمع واتحاده.

---

[1]) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

[2]) الحميات جمع حمية، وهي ميل المرء إلى قومه، وهي مذمومة إذا كانت ذات نزعة عنصرية مؤدية للفساد، يصاحبها غضب وأَنَفَة.

[3]) الجاهلية هي الحالة التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجَهْل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمُفاخرَة بالأنساب. لسان العرب، مادة: جهل

[4]) قدم فيه، أي قدم إلى الحد والتعزير من يستحق ذلك من أهل الحمية الجاهلية. (أي قدمه للقضاء).

[5]) تحفة الأعيان، ج١، ص ١٨٦.

[6]) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

وهذا التناص أخذه الكاتب من سورة الهُمَزَة مع تغيير في التركيب كما جاء في الآية: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[1].

وعند توجيه الوالي باتباع اللِّين في التعامل مع الرعيَّة وتحمُّل تبعات المسؤولية يتناص الترسل وسياقًا قرآنيًا فيه إخبار للنبيِّ ﷺ بفضل الله عليه بحسن الخلق ولين الجانب من خلال الآية الكريمة: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2]، فنقل الكاتب دلالتها الأصلية إلى دلالة جديدة وصاغها في صورة أمر بعد أن أدخل عليها تعديلًا في التركيب، قال: "**ولا ييأس ضعيف من عدلك ولاتكن فظًا غليظ القلب من كثرة المعاني**"[3]. لقد حقق الكاتب بهذا التناص والتغيير الذي طرأ عليه عدة أغراض، فمن ناحية أضفى على النص تعبيرًا جديدًا غير مستهلك، وألبسه حلة دينية مؤثرة في نفس المتلقي، وهو من ناحية أخرى تذكير بالخُلُق العظيم الذي كان يتصف به رسول الله ﷺ، وهو خُلُق يسعى كل مؤمن للتأسي به، ويُعَدُّ ركيزة أساسية للقادة وولاة الأمر.

والخطابات السياسية التي يتحزَّب فيها المجتمع تكون أكثر النصوص تضمينًا واقتباسًا لآيات القرآن الكريم، ربما يسعى كتَّابها من ذلك إلى تفعيل مفهوم التكافؤ الثقافي الديني بين المتخاطبين، وإعطاء الخطاب السياسي شرعية دينية تحقق للكاتب غرضه الذي يسعى إليه. وهذا الأسلوب نجده في رسالتي أبي المؤثر (ق٣هـ) "الأحداث والصفات" و "البيان والبرهان [الذي هو] رد على من قال بالشاهدين"، اللتان انتقد فيهما موسى بن موسى وراشد بن النظر عندما أطاحوا بإمامة الصلت بن مالك عام ٢٧٢هـ، إذ ضمنهما آيات قرآنية في تسعة وعشرين موضعًا عدا التناص القرآني الذي سوف نناقش نماذج منه.

بدأ الكاتب مقدمته في "الأحداث والصفات"[4] بموازنة بين أهل العلم الذين يمثلون القدوة الحسنة، ويتحمَّلون المسؤولية في مجتمعاتهم، وبين الذين يدَّعون ذلك ويؤثرون

---

[1]) سورة الهمزة، الآية: ١.

[2]) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

[3]) تحفة الأعيان، ج١، ص ١٨٧. (كثرة المعاني يقصد المسؤوليات الملقاة على عاتق الوالي).

[4]) السِّير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، ج١، ط٢، ١٩٨٩، ص ٢١.

الحياة الدنيا، قال: "**وليس الاقتداء بعامة من صلى وصام، ولكن القدوة بأهل العلم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وآثار السلف من أولي الأمر الذين حمَّلهم الله الحكمة وجعلهم للناس أئمة يفرقون بين الحق والباطل بقول مشروح وباب مفتوح لا يُلبسون الحق بالباطل ولا يكتمون الحق وهم يعلمون**"[١]. هذا التناص في آخر الجملة مرجعه وعلاقته قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢]. وجاء في آية أخرى: ﴿ وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣]. السياق القرآني في الآيتين يقارع أهل الكتاب في كتمانهم العلم الموجود لديهم في التوراة والانجيل بحقيقة رسالة محمد ﷺ. ولقد وظَّف الكاتب هذا التركيب القرآني وأخرجه من سياقه العام في الآيتين وجعله شهادة براءة للفئة الحاكمة (أولي الأمر) قبل الانقلاب ــ الصلت بن مالك وحكومته ــ، والتصنيف الفئويُّ ذاك جعله إرهاصًا لتخطئة الفئة الأخرى والقدح فيها بتركها مبدأي الشورى والتعاقد في أمر الإمامة.

ومن الأمور التي ناقشها الكاتب وحاجَّ بها موسى وأتباعه استعمالهم ولاة الصلت ومستشاريه في مناصبهم بعد عزله دون استتابه، وينص الفقه الإباضي أن الإمام إذا عُزِلَ بحدث يسري العزل على كل العاملين لديه. وقولهم بأنهم لم يثقوا بهم كل الثقة محجوج، أبدى ذلك الكاتب خلال تناص قرآني مرتبط بحدث تاريخي تعيه ذاكرة المؤمنين، قال: "**فإن قال** [يقصد موسى بن موسى] **إني لم أستعن بهم كل الاستعانة ولم أثق بهم كل الثقة، قيل له القليل من أمانة الفاسقين والكثير سواء، وليس هذا بمنزلة نهر طالوت يُحَلُّ قليله ويُحَرَّمُ كثيره**"[٤]. وهذا التناص يستمد دلالته من الآية الكريمة: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ .. ﴾[٥]. لقد استدعى الكاتب الخطاب القرآني ليبرهن للخصم أن أمور الدين لا تقبل التجزئة، وإذا

---

[١]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢١ و٢٢.

[٢]) سورة آل عمران، الآية: ٧١.

[٣]) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

[٤]) السير والجوابات، ج١، ص ٤٥.

[٥]) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

كان طالوت (أحد ملوك بنو إسرائيل) أجاز لجنوده غرفة ماء واحدة من النهر الذي يجتازونه؛ فإن التشريع في أمور الإمامة وإدارة المجتمع لا يُجوِّز مثل هذه التجزئة.

وعلى نفس المنهج بدأ أبو المؤثر رسالته "البيان والبرهان [الذي هو] ردّ على من قال بالشاهدين"[1]، إذ وظَّف الخطاب القرآني باستدعائه آية ينصُّ بها في مقدمته تتناسب مع المعنى الذي سيناقشه في متن الرسالة. قال بعد البسملة: "**أما بعد فإن الله تبارك وتعالى بعث محمدًا ﷺ بالحق بشيرًا ونذيرًا لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين**"[2]. وهذا التناص هو للآية الكريمة: ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[3]. إن غرض الرسالة تشكيل محاكمة صورية بين فئة إيمانية وصفها الكاتب أنها تحيا روحيًا بالمنهج الإلهي وإقامة العدل، وفئة خرجت على إمامٍ عادل، ولهذا عدَّها الكاتب كافرة بارتكابها كبيرة من كبائر الدين. ولقد أعطى هذا التناص مقدمة الرسالة صيغة إقناعية تتناسب مع عنوان الرسالة، ومع الحوار الخطابي الذي ناقشه الكاتب في المتن بعدم ثبوت حجة الخصم مع افتراض وجود الشاهدين.

وفي متن الرسالة أدار الكاتب حوارًا حول مشروعية القتال بين الفريقين، وعقد لذلك محاكمة بوجود شاهدي نفي، لكنه حاول إثبات أن الإمام المعزول والمؤمنين معه لهم الحق في قتال الفئة الباغية المعتدية على الإمامة الشوريَّة، وما خلَّفه ذلك من ظلم وخوف في المجتمع، وأنهى الكاتب الحوار بطرح سؤال ناصَّ جوابه بتوظيف آية قرآنية أضفت على الخطاب لمسة جمالية بالإضافة إلى عمق الدلالة الإيحائية، وفي الوقت نفسه تركت في نفس المتلقي حيرة لأن الكاتب ربط غرضه من التناص بمدى علم المخاطَب بمضمون الآية المناصة، قال: "**فأي الفريقين أهدى سبيلًا وأولى بالأمر إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**"[4]. وهذا التناص مرجعه الآيتان: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.

---

[1]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ١٤٩.

[2]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ١٤٩.

[3]) سورة يس، الآية: ٧٠.

[4]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ١٧٥.

الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُـم مُّهْتَـدُونَ ﴾[1]. ويستخدم الكاتب تذييل الآية الأولى وكل الآية الثانية دون تغيير في التركيب، ويدل السياق العام للآيات التي سبقت هاتين الآيتين على الحوار بين نبيّ الله إبراهيم عليه السلام وقومه، لكن الكاتب نقل مجمل السياق ووظفه ليكون خاصًا بدحض حجة الخصم وإرباك مداركه الفكرية.

تُعَدُّ رسالة[2] خالد بن قحطان (ق٣هـ) من أهم المصادر التاريخية المعتمد عليها حول تلك الفترة، ولقد أرادها كاتبها أن تمثِّل وجهة نظر الفريق الذي وقف ضد موسى بن موسى ومن معه في عزلهم الإمام الصلت بن مالك بالقوة العسكرية عام ٢٧٢هـ، ولهذا صاغها في قالب سياسي فكري ديني كان للنص القرآني حضور مكثف يكاد يشمل كل صفحات الرسالة، وذلك بقصد إظهار الكاتب قدراته الإبداعية، وإضفاء الشرعية الدينية على غرضه، وتم ذلك عن طريق الاستشهاد أو الاقتباس أو التناص. ومن المواضع التي تناص الكاتب فيها مع المفردات القرآنية مناقشته خصومه في تجاهلهم اتباع آثار السلف في التعامل مع أساليب التغيير في نظام الحكم، واتهامهم بالابتعاد عن النصوص الفقهية الدالة على مبدأي الشورى والتعاقد في هذا الشأن، قال: "**واعلموا رحمنا الله وإياكم إن الواجب علينا وعليكم الاتباع لآثار أسلافنا وأئمتنا في ديننا ولم نخلق نحن ولا أنتم عبثًا ولم نترك سدى**"[3]. وهذا التناص مرجعه الآية: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[4]، والآية: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[5].

لقد أراد الكاتب من نقل هذه المعاني وتوظيفها تذكير الخصم أن الله تعالى لم يخلق البشر بصورة عبثية؛ بل لتحقيق مبدأ الحاكمية لله بعيدًا عن الأهواء ونوازع النفس، وأن هناك مبادئ وقيمًا من الدين طبقها السلف يجب السير عليها، وأنه إلى الله الرجعى والفصل والمنتهى. إن اختيار الكاتب لهذه المفردات في هذا الموضع بالذات أضفى

---

[1]) سورة الأنعام، الآيتين: ٨١ و٨٢.

[2]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٨١.

[3]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ١٢١.

[4]) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

[5]) سورة القيامة، الآية: ٣٦.

على النص سعة وعمقًا في الدلالة، وفي نفس المتلقي تأثيرًا وقدسية، وأوجدت أرضية لمحاسبة النفس؛ وهذا أهم ما سعى إليه الكاتب. كذلك حاول استغلال روحانية التناص فأشرك نفسه ضمن المخاطَبين فظهر في صورة الناصح لا الخصم، وهذه مواقف عادة ما يستغلها السياسيون.

ويستمر الكاتب في توظيف التناص القرآني لتحقيق أغراضه السياسية، ويستغل مواقف يوم القيامة لما تمثله من خشية وخوف بقصد التفريق بين الفئة التي أطاحت بالإمام الصلت وأشياعها، قال: "**فاتقوا الله وانظروا الحق فاتبعوه حيث وجدتموه، ولا تردكم عنه عصبية ولا حمية ولا هوى ولا شحناء. فإن موسى بن موسى وأشياعه لن يُغْنُوا عنكم من الله شيئًا إذا وقفتم بين يدي الله وسألكم عن معونتكم لموسى على الصلت بن مالك ولولايتكم لموسى على عزله للصلت بن مالك**"[1]. وهذا التناص ورد في سياق التحذيرات القرآنية للرسول ﷺ من اتباع بني إسرائيل وموالاتهم، هم وأشياعهم الذين وصفهم بأنهم لا يعلمون رغم ما يوجد لديم من العلوم والاحكام كما جاءت في التوراة والإنجيل، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[2].

إن اختيار الكاتب هذا التناص يتيح للمتلقي مراجعة عدد من القيم السياسة كما نصَّت عليها الشريعة في الآيات الكريمة، وهي مرتبطة بالحياة الدنيا والآخرة. فهناك شريعة إلهية يجب اتباعها، وأي حيد عنها يؤدي إلى اتباع أهواء البشر ذات الأغيار وتحكيم المصالح، وأن الولاية يجب أن تكون لله لأنه هو وليُّ الفئة الصالحة لعمارة الأرض وإقامة العدل وإدارة المجتمعات، أما الفئات الأخرى فقد تؤدي ولايتهم إلى نشر الفتن وتعطيل المصالح، ولهذا وصُفُوا بالظلم والتظالم فيما بينهم. إن الأثر الحسي والمعنوي الذي ربما تتركه دلالة هذا التناص في نفس المتلقي يحقق للكاتب غرضه الفارق بين الفئة الصالحة المتقيَّة التي يمثلها الإمام الصلت وأتباعه، والفئة الظالمة المعتدية ــ من وجهة نظر الكاتب ــ التي يمثلها موسى بن موسى وأشياعه دون أن يذكر ذلك في نصه.

---

[1]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ١٢٦.

[2]) سورة الجاثية، الآيتين: ١٨ و١٩.

تشكل رسائل تعيين الولاة على الأقاليم من قبل الأئمة مرجعية سياسية وإدارية ذات أهمية بالغة، ولهذا يحرص كتابها أن تكون ذات صبغة دينية، فيلجؤون إلى البحث في التناص ليكون هو الحاضر في النصوص حتى لا تختلط المفاهيم، ويضفي على الخطاب مُسوحًا شرعيَّة وزُخْرُفًا فنِّيًّا. ففي رسالة[١] الإمام راشد بن سعيد (ق٥هـ) لواليه عند تعيينه على صحار فضل الكاتب أن يختم توجيهه بتاصٍّ قرآنيٍّ يخدم مضمون الرسالة، ويوضح الكثير من المسكوت عنه ضمن متنها، قال: "**واعتصم به [يقصد الله سبحانه] على ما تحذره وتتقيه وتوكل في جميع الأمور عليه، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، الذين إن مكَّنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور، والحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**"[٢].

هذا التناص مرجعه الآية: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِداً ﴾[٣]، والآية: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[٤]. لقد اختار الكاتب في تناصه الشطر الأخير من الآية الأولى ليستحضر من خلاله طريقي الهداية والضلال وهما قاعدتا الإيمان، وبهما يُحْكَمُ على الإنسان في تعامله مع ربه ونفسه ومع الآخرين. وبما أن الوالي أصبح يتمتع بسلطات شرعية وسياسية وإدارية وعسكرية فإنه مطالب أن يُراقب نفسه، ولهذا عمد الكاتب في توظيفه لهذا التناص وإخراجه من دلالته الأصلية إلى دلالة مخصوصة للمتلقي المكلف بالتنفيذ.

الجزء الثاني من التناص هو أساس نظام الحكم الإسلامي، فالتمكين في الأرض بيد الله، وإذا مكَّن عباده المؤمنين يلزمهم تطبيق القواعد الأربع المذكورة في الآية أعلاه، واستدعاء الكاتب لهذا الخطاب القرآني في ختام الرسالة دلالة على المثاقفة الدينية السائدة في تعاملات دولة الإمامة، فمضمونه يوحي أن الوالي أصبح ضمن

---

[١]) تحفة الأعيان ج١، ص ٣٠٩.

[٢]) تحفة الأعيان ج١، ص ٣١١.

[٣]) سورة الكهف، الآية: ١٧.

[٤]) سورة الحج، الآية: ٤١.

الممكَّنين في الأرض، وعليه تطبيق نصوص الشريعة وتوجيهات الإمام، وهو محاسب عليها كما جاء في تذييل الآية المناصة ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾، وأيضًا ما ورد في متن الرسالة: "**فإن فعلت ما رسمته لك فذلك رجائي فيك وحاجتي إليك، وإن خالفته بعمل الباطل والجور وركونًا إلى الفعل المحرم المحجور فإني برئ من فعلك وأنت مأخوذ بما يجب فيه في نفسك ومالك**"[1].

تحوي الرسائل الاجتماعية كثيرًا من النصائح من قبل العلماء إلى ولاة الأمر لمعالجة قضايا المجتمع الحسية والمعنوية. وهذه رسالة[2] من الشيخ موسى بن علي إلى الإمام عبد الملك بن حميد (ق٣هـ) ينصحه بعدم تثبيت أحد الولاة بعد تعيينه خوفًا من تفشي الفساد الإداري في الدولة، وأشار أن رأيه هذا جاء حسب رغبة المجتمع، قال: "**ومما دعاني الكتابة إليك ولاية رجل أتانا أحببنا إلقاءه إليك من كراهية من كَرَهَ ولايته، فكرهنا ما كَرَهَ المسلمون من ذلك، ورأيت الكتاب فيه إليك للقول الذي قيل والسلامة لك أن لا توليه**"[3]. ولكي يحقق الكاتب غرضه اعتمد على التناص القرآني لإدراكه أنه المؤثر الأقوى في نفس المتلقي لمراجعة ما اتخذ من قرار وتغييره إذا دعت الضرورة دون الركون إلى القبلية أو الحزبية، فقال: "**فحق على من كان من ذلك على بيِّنة ومعرفة أن لا يخاف في ذلك لومة لائم، ولا مخافة، وأن يعمل بما يبصر ويدع ما ينكر**"[4].

ومرجع هذا التناص الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[5]. وتشير إلى جهاد الردة؛ وهي الحروب التي حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ حين تنكرت بعض القبائل العربية للإسلام وظهر من ادَّعى النبوية، لكن الكاتب استدعى الجزئية التي ناصَّ بها وأخرجها من دلالتها الأصلية وحولها إلى دلالة مخصوصة تعنى باختيار

---

[1]) تحفة الأعيان ج١، ص ٣١١.
[2]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٤٥.
[3]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٤٩.
[4]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٤٥.
[5]) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

الشخص المناسب في المكان المناسب دون التأثر بالبيئة المحيطة بصنَّاع القرار، مع استحضار عدم الخوف من ردود الافعال.

ولكي يثبت الكاتب أن نصيحته التي أسداها صادقة لله ولمصلحة الإمام، وأنها خالية من الغش والخيانة، يختم رسالته بتناصٍّ تركيبة قرآنية يستحضر من خلالها تبعات خيانة ولي الأمر وغشه، قال: "**وأخاف أن تكون ولايته مأثمًا وعيبًا ونحن نكره لك المأثم والعيب، فإن قبلت رأي أن لا توليه، وأنا أعوذ بالله من خيانتك وغشك في رأي أو نصيحة أسديت بها إليك (...) والخائن الغاش لله ولأئمة العدل فقد احتمل حوبًا كبيرًا**". وهذا التركيب ورد في الآية: ﴿ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴾[1]. وقد نقل التناص هذا المعنى من سياقه الأصلي ووظفه لخدمة غرض الكاتب، بمعنى أنه نقل دلالته مما يلاقيه أكلة أموال اليتامى بغير حق يوم القيامة، إلى غاش الإمام في النصائح وخائنه. إن استحضار هذا التركيب القرآني له أثره في تعميق الدلالة ليس من ناحية اللفظ فحسب وإنما من ناحية المعنى، فكلمة (حوب) تتعدى معنى الإثم، يقول ابن منظور: "**الحُوبُ الإثم العظيم، وقال: إنَّه كان حُوبًا أي ظُلْمًا**"[2]، والظلم يُخْرِجُ من الملَّة ويؤدي إلى الهلاك، وهذا ما سعى الكاتب إليه.

إن أفضل الظواهر التناصية عندما ينسجم موضوع الكاتب مع الخطاب القرآني، فيضفي التناص على النص المكتوب عذوبة في الألفاظ، ويدخله ضمن الأجناس الأدبية لما يمثله من أساليب الصياغة الأدبية، ويكسب الكتابة رونقًا وجمالًا، مع المحافظة على الهدف الأساسي وهو توضيح المعاني، وإعطاء النص الصبغة الدينية بقصد التأثير في المتلقي. ولقد حاول الشيخ محمد بن محبوب تمثُّل هذا المستوى من التناص في رسالته[3] التي رد فيها على فتوى قضائية من الإمام الصلت بن مالك (ق٣هـ) طلب فيها رأي الشيخ في قضية رجل أراد أن يقتل رجلًا فقتل غيره، وقبل أن يدلي برأيه في القضية صدَّر رسالته بهذا الدعاء مع توظيف تناصٍّ قرآنيٍّ منسجم مع موضوع

---

[1]) سورة النساء، الآية: ٢.

[2]) ابن منظور، لسان العرب، مادة: حوب.

[3]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٩٤.

الرسالة، قال: "**فأسال الله أن يهجم بك وبنا على الصواب، وأن يوفقك للحكمة وفصل الخطاب**"[١].

هذا التناص جزء من النص القرآني الكريم: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[٢]، والحديث هنا عن نبيٍّ الله داوود عليه السلام، والسياق متعلق بالمحاكمة بين الخصم إذ تسوروا عليه المحراب. إن توظيف الكاتب لهذا التناص في هذه القضية جعلنا نستحضر وقائع المحاكمة التي أدارها النبيّ داوود بين المتخاصمين أصحاب النعاج، وما تركته هذه القصة القرآنية من إرث حضاريٍّ في الفقه الإسلامي المتعلق بنظام القضاء وأساليب المحاكمات.

وعلى الأسلوب نفسه صاغ كاتب بيان[٣] حكم المحكمة التي نظرت في تغريق أموال بني نبهان في عهد الإمام عمر بن الخطاب الخروصي[٤] عام ٨٨٧هـ، إذ استحضر الكاتب نصًّا قرآنيًّا متعلقًا بالوصية والمواريث ليختم به قرار المحكمة في تناص بديع، قال: "**فقد صح هذا القضاء والحكم فيه: فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم**"[٥]. وهذا التناص مرجعه الآية الكريمة: ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦]. لقد ربط الكاتب قرار المحكمة من خلال هذا التناص بعقوبة إلهية لمن سعى في تبديله أو تغييره. ومن خلال تلك الإماهة المهيبة بين الخطابين يتجلى للقضاء والحكم المعنيين كبرياهما المنشودة.

ويستمر كتَّاب الرسائل الاجتماعية في الأخذ من القرآن الكريم في تناص غايته تحقيق وظائف متعددة في نصوصهم. ففي رسالة[٧] الشيخ محمد بن الحواري (ق٣هـ) إلى أهل حضرموت يحضر التناصُّ القرآنيُّ بكثافة خلال فقراتها. فأثناء حديثه عن

---

[١]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٩٤.

[٢]) سورة ص، الآية: ٢٠.

[٣]) سيف بن حمود البطاشي، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان، مسقط، ج٢، ص ٢٣.

[٤]) الإمام العُماني عمر بن الخطاب الخروصي (٨٨٥ ــ ٨٩٤هـ).

[٥]) إتحاف الأعيان ج٢، ص ٢٤ و٢٥.

[٦]) سورة البقرة، الآية: ١٨١.

[٧]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٣٣٧.

الزكاة وإثبات أنها من دعائم الدين، وأن مانعها لا تقبل منه الفرائض الأخرى، ربط الكاتب منع أداء الزكاة بالبخل ــ والبخل آفة اجتماعية مذمومة ــ، وتناص مع آيات الخطاب القرآني الدالة على هذا المعنى، قال: "**فمن لم يؤت زكاته لم يقم بما أنزل الله إليه من فرائضه، وشرائع دينه ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء والله هو الغنيُّ الحميد**"[1]. والقرآن الكريم ذم صفة البخل في سلسلة من الآيات في كل من سورة آل عمران، والنساء، ومحمد، وسورة الحديد. ومرجع التناص الذي استحضره الكاتب الآية: ﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِه وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[2]. والآية: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[3]. ولقد استدعى الكاتب أجزاء من الآيتين تتناسب مع المعنى مدار البحث، ويغلب على هذا التناص التداخل أو التقارب الوظيفي بين النص القرآني ونص الرسالة، ويؤدي غرض الكاتب دون الحاجة إلى إطالة التعبير.

ويختم الكاتب رسالته بدعوة المخاطَبين إلى الألفة وعدم الفرقة، ويرجع إلى الخطاب القرآني ليوظف منه ما يحقق غايته، فيناص خطابه مع آيتين قرآنيتين، قال: "**ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيَعًا. واختلفوا من بعد ما جاءهم الكتاب بغيًا بينهم، والفرقة عقوبة من الله مهلكة، والألفة رحمة من الله ونعمة**". ومصدر هذا التناص الآيتين: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[4]. لقد استخدم الكاتب في تناصه تركيبًا قرآنيًا من الآيتين دون أي تغيير، وهو يؤدي المعنى بعبارات قرآنية بليغة، ويؤثر في وجدان المتلقي بتعميق الدلالة لأنه يربط الفرقة والاختلاف في الدين بقضية الشرك، وهو مصطلح تنفر منه نفوس المؤمنين. وقضية الألفة والفرقة بين المؤمنين من المحاور الرئيسة التي طرحها أهل حضرموت ليفتي فيها الشيخ أبو الحواري، وأراد الشيخ أن يختم بها رسالته لتبقى عالقة في الأذهان.

---

[1]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٣٣٩ و٣٤٠.

[2]) سورة محمد، الآية: ٣٨.

[3]) سورة الحديد، الآية: ٢٤.

[4]) سورة الروم، الآيتين: ٣١ و٣٢.

يختلف أسلوب الترسل عندما يكون الحوار المطروح يجري بين العلماء، فيحاول كلٌ منهم إظهار ما يمتلكه من قدرات إبداعية، ويصبح الخطاب القرآنيُّ المنبع الرئيس لتحقيق غرض الكاتب لما يمتلكه من ثروة لغوية وفصاحة وصياغة أدبية، وإضفاء شرعية دينية على الخطاب. هذا الأسلوب نلمسه في رسالة النقد التي وجهها الشيخ أبو المؤثر الصلت بن خميس (ق٣هـ) إلى الشيخ أبي جابر محمد بن جعفر وهو أحد علماء عُمان البارزين في القرن الثالث الهجري، إذ وظَّف الكاتب التناصُّ القرآنيُّ في أكثر من خمسة عشر موضعًا عدا الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

بدأ الكاتب رسالته بتناصٍّ قرآنيٍّ يُعنى بموضوع التوبة، وهو تمهيد لما سوف يُتَّهم به المخاطَب من انحراف عن المسار الديني والابتعاد عن أثر السلف بتقربه إلى السلطة وركونه إلى الدنيا، وهذه أعمال توصِل صاحبها إلى الهلكة إن لم يتب منها، يقول بعد البسملة: "**سلام عليك، أما بعد فإنا نحمد إليك الله الذي لم يزل فضله علينا عظيمًا، وإنعامه علينا قديمًا. يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، الرحيم الغفور**"[١]. ومرجع هذا التناص الآية: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢]. إن استحضار موضوع التوبة في المقدمة يخدم خطة الرسالة وبناءها، فتوظيفها في هذا الموضع بالذات يؤثر في نفس المخاطَب ويجعله يتقبل التهم الموجهة إليه في متن الرسالة كأنها واقعة منه حقًا وبصرهُ شاخصٌ إلى السماء في طلب التوبة للتخلص منها.

ويختم الكاتب رسالته بتناصٍ قرآني يوظفه لتحذير المخاطَب من موقف يوم القيامة، قال: "**وإني أحذرك يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون. فاقبل الحق ممن جاء به لا تعد عيناك عنهم ولا تبغ وراء ذلك سبيلًا**"[٣]. وهذا التناص مرده الآية: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[٤]. إن تصدير الكاتب رسالته بتناصٍّ قرآنيٍّ معنيٍّ بموضوع التوبة، وختامها بتناصٍّ قرآنيٍّ يحذر من الوقوف

---

[١]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٥١.

[٢]) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

[٣]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٧١.

[٤]) سورة البقرة، الآية: ١٢٣.

للحساب يوم القيامة، كوَّن لدى القارئ حالة قبول بما اتُّهِمَ به المخاطَب، وهي تهم مؤدِّية إلى الكبائر من الذنوب، يقول في أحدها: "**وأنكم قد تفرقتم بعد الألفة وأنكرتم بعد المعرفة، وأغفلتم كتاب الله ونبذتموه على أهوائكم فأنتم في ذلك تترددون في غمرة ساهون**"[١]. والحقيقة ما كان لهذه الصورة أن تتشكل لدى القارئ لولا قدرة الكاتب الفنِّيَّة على استحضار النص القرآني في مقدمة الرسالة، وتمثِّله به في متنها وخاتمتها.

أتخذ كتّاب الرسائل العسكرية الخطاب القرآنيَّ منطلقًا لتحقيق أغراضهم. ففي رسالة[٢] الشيخ منير بن النيِّر الجعلاني إلى الإمام غسان بن عبد الله (١٩٢ ــ ٢٠٧هـ) يحثه فيها على تفعيل فريضة الجهاد، استحضر في صدر الرسالة تناصًّا قرآنيًّا متعلقًا بمفهوم الشراء[٣] وساقه في امتثال السلف الذين تنافسوا على الجهاد في سبيل الله، قال: "**فشمر القوم لا يألون تنافسًا وسباقًا إليه مع الذي وفوا الله من البيعة التي اشترى عليهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنَّة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلُون ويُقْتَلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن**"[٤]. ومرجع هذا التناص الآية: ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٥].

إن استدعاء معاني القتال والتضحية بالنفس في صدر الرسالة كفيلٌ بأن يُضْمِر التردد من قبل المخاطَب في اتخاذ قرار الجهاد، وهنا تتجلى فاعلية التداخل بين الخطاب الحاضر والخطاب المستدعى، فَيُخَيَّلُ لدى القارئ أنه يشاهد حلبة سباق بها متنافسون من المؤمنين، لكنه لا يستطيع تمييز المنافس الآخر لأن النص لم يظهره وإنما أظهر الجائزة (الجنة) وهي غاية كل مؤمن، وأفضل وسيلة لاستنهاض الهمم للجهاد في سبيل الله. لقد وظَّف الكاتب جزءًا من الآية الكريمة فأضفى على النص

---

[١]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٥٣.

[٢]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٢٩.

[٣]) شَرَى الشَّيْءَ باعَه. وفي المصطلح الفقهي، الشاري: الذي يبيع الدنيا بالآخرة.

[٤]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٣١ و٢٣٢.

[٥]) سورة التوبة، الآية: ١١١.

إيحاء بتمام البيعة الصادقة؛ لأن النص القرآنيِّ يحدد أن المشتري هو الله سبحانه وتعالى، وبهذا كسب نص الخطاب قدسية دينية وعروة وثقى في المبايعة، فتحقق للكاتب مقصده في الحث على إقامة فريضة الجهاد وتنفيذها.

في متن الرسالة استعرض الكاتب حال الدولة واستعدادها للدفاع عن مصالحها، وناقش نقاط القوة والضعف في التجهيزات الحربية وإعداد المجتمع للمشاركة في المجهود الحربيِّ، وتوصل إلى أن هناك تقصيرًا من قبل الدولة في محاربة قراصنة البحر خاصة، الذين عطَّلوا التجارة البحرية في المنطقة بما يقومون به من أعمال القرصنة، وقد جعل الكاتب تعبيراته الفنِّيَّة تنتمي بقوة إلى التناص مع آيات قرآنية استدعي خصوصيتها الدالة على أهم أدوات القتال في ذلك العصر، قال: "**وخمسون علجًا[1]في مركبين قطعوا سبيل البحر فيما بين البصرة وغروب عُمان وجاسوا سرب أهل البر وأخرجوهم من صياصيهم ومعايشهم ومنافعهم (...) ولا يُنْفَقُ في طلبهم مال، ولا تُبْذَلُ فيه قوة، ولا يوجف[2] عليهم خيل ولا ركاب**"[3]. ويبني الكاتب تناصه على قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

نص الآية يشير إلى ما أفاء الله على رسوله ﷺ من أموال بني النضير ــ إحدى قبائل اليهود بالمدينة ــ دون أن يكون للمسلمين دور فيه، ولقد استطاع الكاتب بقدرته الفنِّيَّة أن يخرج النص من دلالته الأصلية، ويدخله في سياق خاص بتحميله دلالات وإيحاءات جديدة تتفق مع غرض الكاتب وهو الحث على محاربة قراصنة البحر، إذ ربط مفهوم التناصِّ القرآنيِّ بما يجب على الدولة عمله من إنفاق المال لتجنيد المقاتلين وإعدادهم، وتخصيص جزء من قوة الدولة لهذا الغرض، ثم المسارعة في محاربة القراصنة في الأراضي العُمانية والمنطقة البحرية الممتدة حتى شواطئ البصرة.

---

[1]) العلْجُ: الرجل الشديد الغليظ من كفار العجم..

[2]) الوَجْفُ: سُرْعة المسير، ويقال وجَفَ البعير والفرس أي أسْرَعَ. لسان العرب، مادة: وجف.

[3]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٤٤.

[4]) سورة الحشر، الآية: ٦.

وفي رد[1] الشيخ هاشم بن غيلان ومعه علماء إزكي على دعوة الإمام عبد الملك بن حميد (ق٣هـ) للمشاركة في الجهاد أنهم اشترطوا عليه إعداد الأمة لهذا العمل قبل تنفيذه. ولكي يثبتوا أن شرطهم هذا ليس تراخيًا عن فرضيَّة الجهاد؛ بل لحاجة الأمة للإصلاح وإعدادها للحرب، قدموا تسويغًا كان للخطاب القرآني حضورٌ فيه، وذلك من خلال تناصٍّ أعطى النصَّ شرعيةً وقوة، قال: "**وليس الذي أمرناك بالنظر فيه من إصلاح الأمر ووضعه موضعه الذي لا يصلح إلّا به، جهالة منا لفضل الجهاد، ولا لما وعد الله عليه، ولا تثبيطًا[2] عن الانبعاث في سبيل الله فيكون كمن صدَّ عن سبيل الله ونهى عبدًا إذا صلى**"[3]. ومرجع التناص الأول الآية: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[4]. والتناص الثاني الآيتين: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى . عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾[5].

لقد تعمَّد الكاتب استدعاء أكثر من آية ذات أبعاد متعددة لشحن النصِّ الخطابيِّ بمجموعة من الإيحاءات، فوظَّف المفردات القرآنيَّة في التناصِّ الأول ليحوِّل السياق من الإثبات إلى النفي لقطع أسباب النفاق ممثل في الحيرة والتردد والنكوص عن الحق استظهارًا لمقام القرآنيِّ. أما من الناحية الفنِّيَّة فقد شكل التناص تواصلًا روحيًا بين الكاتب والمتلقي في خطوات متسلسلة لا يكاد معها القارئ يفصل بين الخطاب الحاضر والخطاب المستدعى، وبلغت ذروتها ربط السياق بالتناص الثاني من سورة العلق الذي يُجْزَم بعدم حدوثه إلّا من تعمد الوقوف ضد دعوة الإسلام.

عندما يكون موضوع الرسالة الصراع على السلطة تتغيَّر لغة الخطاب إلى الشدَّة والتقريع، ويتحوَّل الحوار إلى استبعاد الآخر وإنكاره، ويُستَدعى الخطابُ القرآنيِّ لتحقيق الغرض بغض النظر عن السياقات التي جرت عليها آياته. ومن ذلك ما اشتملت عليه رسالة الإمام محمد بن مالك بن شاذان (ق٦هـ) إلى من ادَّعى الإمامة في زمانه ويُدعى سعيد بن راشد بن على، إذ شنَّ عليه هجومًا في صدر رسالته فوظَّف تناصًا

---

[1]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٤٠.

[2]) ثَبَّطَه عن الشيء تَثْبِيطًا إذا شَغَلَه عنه.

[3]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٤٢.

[4]) سورة التوبة، الآية: ٤٦.

[5]) سورة العلق، الآيتين: ٩ و١٠.

قرآنيّا في إحدى فقراته، فقال: "**وأي شيء حملكم على الانهماك في الإثم والطغيان، فأنساكم ذكر الله، وصيَّركم حزب الشيطان!**"[1]. وهذا التركيب القرآنيِّ ورد في الآية: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2].

لقد استدعى الكاتب الخطابَ القرآنيَّ وسياقه المتعلق بفئة المنافقين الذين يظهِرون الإسلام ويُبطِنون الكفر، ونقل معانيه ووظفها لتكون خاصة بفئة أخرى من الناس يختلف معهم سياسيًا، يُنازعونه السلطة التي يرى أنه أهلها وأحق بها، ولهذا ألبسهم ثوب الطغيان، ووصف تجمعهم بحزب الشيطان، واستطاع من خلال هذا التناص نقل دلالات الحكم الإلهي إلى حكم مشابه أطلقه على هؤلاء المختلفين معه سياسيًا، وأتاح له نقد حركتهم ووصفها بأنها لا تخدم المجتمع، فقال: "**تتسمون بالإمامة ولستم من أهلها، وتظهرون القيام بالدعوة وأنتم مشاققون لأصلها، وتدَّعون العدل وأنتم تصادرون الرعيَّة، وتتفوهون بإحياء الدعوة والناس منكم في أعظم البلية**"[3].

يُعَدُّ تطبيق أسس الحرب وقواعدها كما نصَّت عليها الشريعة الإسلامية، من الأمور التي أصَّلها الفقه الإباضيُّ وفصَّلها، وحاول كتَّاب الرسائل العسكرية مداومة الرجوع لهذا الإرث الحضاريِّ عند معالجتهم وقائع الحروب الأهلية. وفي رسالةالشيخ أحمد بن محمد بن صالح (ق٦هـ) نماذج من تطبيق بعض هذه القواعد، إذ انتقد بشدة الهجوم العسكري الذي شنَّه الإمام محمد بن أبي غسان وأتباعه على حيِّ العقر بنزوى، واتهمهم بحصار أهل الحيّ وقطع المواد عنهم، وأخذ أموالهم، وتحريق ديارهم، وتخريب أملاكهم، وهذه أعمال عسكرية يرى الكاتب أنها غير مقبولة في الحروب حتى بين المسلمين وغيرهم، فالأمر محكوم بقواعد شرعية أراد الكاتب استحضارها مع تناصٍّ قرآنيٍّ فقال: "**وإنما تَحِلُّ أموال أهل الشرك للمسلمين وتحريقها وقطع المواد عنهم ما دامت الحرب قائمة، فإذا وضعت الحرب أوزارها حُرِّمَ ذلك كُلُّهُ**

---

[1]) أحمد بن عبد الله الكندي (ق ٦هـ)، كتاب الاهتداء، ت سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث والثقافة، مسقط، بدون ط، ١٩٨٥، ص ١٨٧.

[2]) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

[3]) كتاب الاهتداء، ص ١٨٨.

ورَدُّوا الخيط والمخاط وصارت نارًا وشَنارًا[١] وغلولًا، هذا في أهل الشرك دون بغاة أهل القبلة"[٢].

هذا التناص مرجعه الآية الكريمة: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٣]. وسياق الآية الحديث عن معاملة الأسرى أثناء الحرب، وخُيِّرَ المسلمون بين أن يمنُّوا عليهم بإطلاق صراحهم، أو مفاداتهم بأسرى مسلمين أو مال، فإذا انتهت الحرب بين الفريقين ووقع الصلح بينهما حُرِّمَ ذلك كله. لقد أراد الكاتب باستحضاره هذا التناص تذكير المخاطَبين بحرمة أموال المسلمين وممتلكاتهم وحصارهم، فوظَّف هذا الحكم ودلالته ليقطع المحاورة في القواعد التي تحكم ذلك، وهذا الأسلوب أبلغ في محاولة إثبات التهمة على الفريق الآخر، ويشير في نهاية النص أنه إذا كان هذا الحكم الشرعيُّ مع المشركين فمن باب أولى يجب عدم حدوثه بين المسلمين أنفسهم.

جاء رد الإمام على هذا النقد أكثر حدَّة وأبلغ حجَّة في رسالة[٤] كتبها الشيخ أحمد الكندي أحد علماء عُمان البارزين في عصره، صاحب كتاب "المُصنَّف"، وقد حاول الكاتب إظهار ما يمتلكه من قدرات إبداعية في تعالق نصِّه مع الخطاب القرآني من خلال استشهاده بآياته الكريمة واستدعاء مفرداته وتراكيبه في تناصٍّ يحقق وظائف أساسية يدحض بها التهم الموجَّهة إلى الإمام وأتباعه في حربهم أهل حيِّ العقر بنزوى. ففي ردِّه على تهمة تصنيف أهل الحي أنهم بغاة من قبل الإمام وأتباعه قبل أن يُبيَّن بغيهم للناس، قال الكاتب: "**وأما قوله، الذين قد سميتموهم بغاة قبل أن تبيِّنوا للناس بغيهم، فإن بغيهم ظاهر للعيان لا يحتاج إلى إشاعة وبيان (...) إن هذا القول مختلفٌ يُؤفَكُ عنه ما أفِكَ**[٥]"[٦].

---

[١]) الشنار: العيب والعار، وقيل هو أقبح العيب والعار. انظر المصطلحات الفنية، ص ٧٢.

[٢]) كتاب الاهتداء، ص ١٩٣.

[٣]) سورة محمد، الآية: ٤.

[٤]) كتاب الاهتداء، ص ١٩٥.

[٥]) أفَكَهَ عن الشيء: صرفه عنه وقلبه. أما الإفْك فهو الكذب. لسان العرب، مادة: أفك.

[٦]) كتاب الاهتداء، ص ٢١٨ و٢١٩.

هذا التناص مرجعه الآيتان: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِف. يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾[1]. سياق الآيتين يَحْمِلُ تقريعًا لكفَّار قريش على قولهم المختلف عن رسول الله ﷺ حين نعتوه بالسحر مرة، وبالشعر أخرى، وبالكهانة، ويؤكِّدُ أنه سَيُصْرَفُ عن الإيمان برسالته ﷺ من صُرِفَ عن الهداية في علم الله. لقد استحضر الكاتب معاني هاتين الآيتين مع تعديل في التركيب بقصد استقامة السياق وليضفي على النص خصوصية أرادها الكاتب لنقد القول وليس القائل. فالقول في رسالة النقد مختلف عن الحقيقة من وجهة نظر الكاتب، وهو قابل للتنقية وصرف ما هو مكذوب منه، وهذا ما أشار إليه الكاتب قبل التناصِّ على أن بغي أهل الحي ظاهر للعيان ولا يحتاج إلى إشاعة وبيان، لكن توظيف التناصِّ القرآنيِّ أشاع في النص طاقة دلالية فائقة، تنقل القارئ إلى التفكير في الافتراء الذي لحق برسول الله ﷺ، وقد تصرفه عن التفكر في التهم الموجَّة إلى الإمام وأتباعه، وبذلك يكون الكاتب قد برع في استغلال المثاقفة الدينية بين المتخاطبين.

التناص من الأحداث التاريخية

يُعَدُّ التاريخ أداة من الأدوات التي يلجأ إليها المبدع لما يمثله من أحداث وعبر ومعطيات دلاليَّة عميقة، والتاريخ الإسلامي حافل بالأحداث التاريخية الفاعلة التي تقوم بترسيخ قيم روحية وفكرية تصل الحاضر بالماضي ــ المقصود بالحاضر عصر كتابة السِّيَر ــ في جدلية حية، فهي ليست ظواهر إنسانية عابرة، ولكنها تبقى ذات دلالة مسترسلة قابلة للتجدّد على امتداد التاريخ، وفي الوقت نفسه تحظى برصيد حيّ في الوعي الجمعي. ولقد شاع استدعاء الحدث التاريخي بصفة خاصة في هذه الرسائل، واستلهم كتَّابها مضمونات تلك الأحداث في نصوصهم لتحقيق غاياتهم ولتوصيل أغراضهم للمتلقي الذي يفترض فيه أن يكون لديه معرفة بتلك الأحداث من خلال المثاقفة بين المتخاطبين. وسوف نقدم بعض النماذج التي تكشف عن أسلوب التناص ومنهجه في التعامل مع تلك الأحداث التاريخية.

ففي رسالة[2] أبي المؤثر (ق٣هـ) "الأحداث والصفات" التي انتقد فيها ثورة موسى بن موسى وأصحابه ضد الإمام الصلت بن مالك، استحضر الكاتب مجموعة من

---

[1]) سورة الذاريات، الآيتين: ٨ و٩.

[2]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢١.

الأحداث التاريخية فأسقطها على وقائع بدرت منهم. منها اتهامهم بالاستيلاء على الأموال العامة للدولة، فقال: "**فساروا بأخلاط الناس والرعاع سراعًا إلى الفتنة (...) إلى أن بلغوا إزكي[1] فأخذوا فيما بلغنا حبًا[2] كان جمعه والي إزكي ووالي مطي[3] من الصدقة [الزكاة] فيما ذكر لنا فأنفقوه على جيشهم، وصلتٌ ما زال معهم إمامًا لم تَزُل إمامته وإنما ساروا إليه ناصحين، وقد حُرِمَ عليهم غُلولُه[4] وأخذ ما جمعه ولاته**"[5].

ولكي يثبت الكاتب نقده لموسى وأتباعه في حرمة أخذهم المال العام استحضر حادثة تاريخية وقعت أيام الدولة الأموية، حينما ثار المرداس بن أدية[6] (ق١هـ) على عبيد الله بن زياد[7] والي معاوية بن أبي سفيان على البصرة، فقال: "**فقد خرج المرداس رحمه الله على عبيد الله بن زياد الفاسق، فمر بالمرداس مال للسلطان [الدولة الأموية] فلم يستحل أخذه إلا من كان له عطاء من أصحابه، فقد أمرهم بأخذ أعطياتهم، ثم خزن المال وسلمه إلى من كان بيده (...). فقد استحلَّ موسى وأصحابه من الصلت ما لم يستحل المرداس من عبيد الله بن زياد، فإن زعم موسى أنه منع المرداس من أخذ المال أن أصله كان حرامًا لأنه من جمع الجبابرة، [فهذا] من جهل موسى على المرداس كيف يستحل المرداس أن يأمر أصحابه أن يأخذوا أعطياتهم من مال حرام**"[8].

---

[1]) إزكي إحدى ولايات محافظة الداخلية.

[2]) الحَبُّ معروف مُستعمل في أشياء جَمة. يجمع البر والقمح والشعير. لسان العرب، مادة: حب.

[3]) مطي إحدى قرى ولاية إزكي بمحافظة الداخلية.

[4]) يَغُلّ: يخون. والمعنى في السياق: يُحْرَمُ عليهم خيانة الإمام وسرقة أموال الدولة.

[5]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٩.

[6]) أبو بلال، مرداس بن حدير التميمي (أدية أمه)، (ت ٦١هـ). تابعي، من أئمة المذهب الإباضي، أخذ العلم عن جابر بن زيد والتقى عددًا من الصحابة، شهد معركة صفين مع علي بن أبي طالب، ثم أنكر التحكيم، وشهد النهروان. انظر معجم أعلام الإباضية، ص ٤٣٩ و٤٤٠.

[7]) عبيد الله بن زياد بن أبيه، وأمه مرجانة من بنات ملوك فارس. تولى أمر العراق بعد أبيه زياد حتى أيام مروان بن الحكم. انظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون العرب، ت مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤، ط١، ج٩، ص ١٣٤.

[8]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٣٠.

إن استحضار الكاتب لهذه الحادثة حققت له عدة قيم يمكن الاحتجاج بها على موسى وأصحابه، هي:

ــ المال العام يُحْرَم الاستيلاء عليه مهما كان شأن الدولة القائمة عليه.

ــ للثوار مظلمة مالية فردية لدى الدولة، فأُخِذَ من المال العام بقدر ما أُخِذَ من كل فرد منهم.

ــ موسى وأصحابه استحلوا أموال دولة عليها إمامٌ عادلٌ وَصَلَ إلى السلطة بالمشورة والتعاقد، يقابله امتناع المرداس عن أموال دولة قائمة على القوة والقهر.

ــ موسى يجهل سِيَر السَّلف وتعففهم عن الأخذ من الأموال إذا كان أصلها حرام.

وفي رسالته الثانية[1] "البيان والبرهان [وهو] رد على من قال بالشاهدين" التي يجادل فيها الثوار بافتراض وجود شاهدين، استحضر أبو المؤثر حدثًا تاريخيًا متعلقًا باختيار الإمام وتوليَته. فهو يعارض اختيار راشد بن النظر إمامًا، ويطعن في مقدرته الشخصية، وينتقد البيعة التي نُصِّبَ بها، فقال: "**قلنا إن الذين قدَّموا راشدًا ليسوا في حد من تجوز به الإمامة لأنهم ليسوا من أهل العلم ولا من مساند[2] المسلمين الذين يلون عقد الإمامة، وإنما كانت بيعة من غير مشورة المسلمين ولا رضى منهم، فذلك عقد فاسد غير صحيح، فإن قالوا ومن الذين تجوز لهم الإمامة؟! قلنا إن المسلمين قد أجمعوا [على]أن الإمامة لا تكون إلّا عن مشورة، وإنما قدَّم المسلمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهما من الأئمة عن تراضٍ من المسلين ومشورة أهل العلم والمساند**"[3].

لقد استدعى الكاتب هذا الحدث التاريخي المتعدد الجوانب ووظفه في إطاره السياسي، فالأمة تكاد تجمع ــ ما عدا الشيعة ــ على أنَّ الطريقة التي تم بها اختيار أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما لتولي الخلافة بعد رسول الله ﷺ، هي الطريقة الشورية التي يقتضيها الإسلام، وعلى أساسها أقرَّ الفقه الإباضي نظام الإمامة ووضع قواعده، وأهمها أن الإمامة لا تقوم إلّا على أساس مبدأي "المشورة

---

[1]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٤٤.

[2]) السَّندُ: ما ارتَفَعَ من الأرض في قُبُل الجبل أو الوادي، والجمع أسْنادُ. أسندتَ إليه شيئًا فهو مُسْنَد. وما يُسْنَدُ إليه يُسَمى مِسْنَدًا ومُسنَدًا، وجمعه المَسانِدُ. لسات العرب، مادة: سند.

[3]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٤٤.

والتعاقد". ولعل الكاتب أراد بهذا التناص أيضًا التذكير بالتجربة العُمانية التي امتدت قرنًا من الزمن ــ منذُ تولي الوارث بن كعب ١٧٩هـ، إلى الإطاحة بالصلت بن مالك ٢٧٢هـ ــ وهي تطبق هذين المبدأين والبلاد تعيش في أمن واستقرار سياسي، ورخاء اقتصادي، وتطور علمي وفكري لم تشهده من قبل.

انشغل العمانيون كثيرًا بقضية الإطاحة بالإمام الصلت بن مالك، لا بكونها قضية شخصية تخص رجلًا قاد البلاد في أزهى عصورها، بل بكونها قضية قلبت المفاهيم الفقهية والفكرية والسياسية التي أسستها الحركة الإباضية في إقامة نظام الحكم وتداوله، وطبقها العمانيون فأوجدوا من خلالها واقعًا حضاريًا تميَّزوا به بين المجتمعات الإسلامية. ومن المفاهيم التي ناقشها خالد بن قحطان (ق٣هـ) في رسالته وانتقد فيها موسى بن موسى وأصحابه، مشروعية استتابة الإمام إذا ارتكب معصية مُكَفِّرة قبل عزله أو قتاله، ومرجعه في ذلك الفقه الإباضي الذي يشير إلى أنه: "**إذا ركب [الإمام] معصية مكفرة من الكبائر المكفرات، وشهر ذلك في أهل الدار، كان عليهم أن يستتيبوه من حدثه، فإن تاب رجع إلى إمامته وولايته معهم. فإن أصرَّ ولم يتب من حدثه ذلك كان للمسلمين عزله. فأن كره أن يتوب ولا يعتزل، حل لهم دمه وجهاده**"[1].

اختار الكاتب قضية الإطاحة بالخليفة عثمان بن عفان ليناصَّ معها في مناقشته لدحض حجة موسى بن موسى ومن معه في تعجِّلهم بعزل الإمام الصلت، فقال: "**فلما قبض الله عُمَرَ إليه واختار له ما لديه، اجتمع أهل الشورى الذي [الذين] جعل عمر رحمه الله الشورى فيهم فاجتمعوا على عبد الرحمن بن عوف لأنه كان أفضلهم، فولى عبد الرحمن رحمه الله الخلافة عثمان بن عفان، فاختاره على أصحابه ورجا فيه القيام بحق الله فعمل عثمان بن عفان ست سنوات أو ما شاء الله والمسلمون له مجامعون [مُجْمِعون]، وكان في ذلك دون صاحبيه. فلما كان في الست الأواخر من عمره أحدث أحداثًا يكرهها المسلمون ولم يعرفوها من سيرة النبي ﷺ ولا من سيرة أبي بكر وعمر رحمهما الله. فلما رأى المسلمون ما نزل بعثمان رأوا لأنفسهم أنه لا يسعهم إلا أن ينكروها عليه فكانوا ينكرون عليه (...) فلم يعجل عليه المسلمون ولم**

[1]) أحمد بن عبد الله الكندي (ت ٥٥٧هـ)، كتاب المصنف، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، الجزء العاشر، دون طبعة، ١٩٨٣، ص ٢١٥.

يغتنموا عثرته ولا زلته بل أعذروا إليه واحتجوا عليه وطلبوا منه الرجوع إلى الحق بأن ينصف من نفسه ويصبر للحق وينزل نفسه حيث أنزله الحق"[1].

هذا التناص أتاح للكاتب عرض قضية تاريخية قريبة من عهد النبوة، وشخوصها صحابة النبي ﷺ الذين يشار إليهم أنهم خيار قرون هذه الأمة، فوظفها الكاتب ليثبت أن المسلمين لا يبحثون عن عثرات ولاة أمرهم ولا يغتنمون زلاتهم للإطاحة بهم، وإنما هناك أساليب حضارية يجب اتباعها لتحقيق أهداف الأمة. فرغم ما شاع من أحداث منكرة عن الخليفة عثمان بن عفان ــ من وجهة نظر معارضيه على الأقل ــ لم يعجِّلوا في محاربته بل عرضوا عليه التوبة أو الاعتزال، ويؤكِّد الكاتب هذا في رسالته، قال: "**.. ساروا إليه من أطراف الأرض يسألونه التوبة أو الاعتزال عن أحكامهم، فقبل لهم بالرجعة إلى الحق ورد المظالم إلى أهلها والإنصاف من نفسه. فقبلوا منه ذلك ورجعوا عنه حتى ينظروا فعله**".

أما في قضية الصلت بن مالك فإن الكاتب ينتقد الإجراءات التي قام بها موسى بن موسى وراشد بن النظر، فالصلت لم يعتزل الإمامة كما ادَّعوا، يقول في رسالة له لأحد خواصه: "**فرأيتُ أن تحولتُ إلى منزل ولدي بلا ترك للإمامة ولا بخلع لما طوقني الله من هذه الأمانة**"[2]. ويشير الكاتب إلى اغتنام موسى وراشد هذا الاعتزال لقلب نظام الحكم، قال: "**ولما اعتزل الصلت بن مالك اغتنم ذلك موسى بن موسى وعقد لراشد إمامًا قبل أن يدخل نزوى ويسأل الصلت عن اعتزاله ويحتج عليه فيه (...) ولا سأله حجة ولا عرض عليه توبة ولا سمى له مُكَفِّرَة!! ولكنه عقد لراشد إمامًا على أهل عُمان بالغلبة والجبرية وقعد قاضيًا له طالبًا للملك والدنيا**"[3]. وهذا ما أراد الكاتب الوصول إليه من تناصه مع الحادثة التاريخية للخليفة عثمان بن عفان.

حاول كتَّاب الرسائل الاجتماعية استدعاء قضايا تاريخية مشابهة لما يطرحونه في نصوصهم للدلالة على مقاصدهم ولتسويغ آرائهم، ومن ذلك ما استحضره الشيخ محمد بن محبوب في رسالة[4] رد فيها على الإمام الصلت بن مالك (٢٣٧ ــ ٢٧٢هـ) حين طلب رأيه في قضية قضائية لرجل أراد قتل رجل فقتل غيره، فكان رأي الشيخ أنه لا

---

[1]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٩٤، ٩٥ و٩٦.

[2]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ١٢٢. (الرسالة أوردها أبو قحطان ضمن رسالته).

[3]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ١٢٣.

[4]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٩٤.

قصاص على الرجل وإنما عليه دفع الدية إلى أهل المقتول، قال: "**والذي نأخذ به أنه لا قَوَدُ[1] على هذا الرجل، وإنما تلزمه الدية في نفسه**"[2]. وقبل الإدلاء برأيه تناصَّ الكاتب مع حادثة مشابهة وقعت في عهد الإمام عبد الملك بن حميد (٢٠٨ ــ ٢٢٦هـ)، إذ قال: "**واعلم ــ أسعدك الله ــ أن مثل هذا عندنا أثرًا [أثرٌ]عن أسلافنا وأئمة الهدى منا، وكان مثل هذا بنخل[3] ــ أنت إن شاء الله عرفت ذلك ــ في قتل سعيد بن محمد النخلي[4]، فأقرَّ ربيب سعيد بن عمر[5] أنه قتله، وإنما أراد قتل عمه زوج أمه سعيد بن عمر وإليه قصد، وكان المقتول غيره وهو سعيد بن محمد، ثم شاور عبد الملك الإمام في ذلك ــ رحمه الله ــ فلم ير عليه موسى بن علي[6] رحمه الله وغيره من المسلمين القَوَدَ**"[7].

هذا التناص أتاح للكاتب اختصار رأيه وإعطاءه درجة قبول لدى المتلقي لأنه عُرِفَ عن العُمانيين أنهم يجلُّون آراء أسلافهم ويعتقدون أنهم أكثر فهمًا لمعالجة قضايا المجتمع لا سيما القضاء وذلك بحكم قربهم الزماني من العهد النبوي وما سار عليه علماء الأمة من الصحابة والتابعين ونقله العمانيون بالتواتر. كذلك القضية التي تناص معها كان الحكم فيها جماعيًا كما ذكر الكاتب: " **فلم ير عليه موسى بن علي رحمه الله وغيره من المسلمين [يقصد العلماء] القَوَدَ**".

جاء ضمن الأسئلة التي وجِّهَت للشيخ أبي الحواري من أهل حضرموت: "**هل يجوز أن يهدم المسلمون مَصْنَعة[8] قاتَلَ عليها أهل البغي بعد أن ظهر المسلمون على أهل البغي**"[9]. وكان جواب الشيخ: "**الذي عرفنا من قول المسلمين وعلمائهم أن المسلمين إذا ظفروا بعدوِّهم وظهروا لم يهدموا لهم دارًا ولم يغنموا لهم مالًا، فإن كانت هذه المَصْنَعة مرصدًا للبغاة يجتمعون عليها ويحاربون فيها المسلمين**

---

[1]) القَوَدُ: قتل النفس بالنفس، أي القصاص..

[2]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٩٥.

[3]) نخل. إحدى ولايات محافظة جنوب الباطنة..

[4]) . سعيد بن محمد النخلي (حي في ٢٠٧هـ)، عالم من ولاية نخل، قُتِلَ خطأً في فراشه..

[5]) الربيب ابن زوجة الرجل. وسعيد بن عمر لم أقف له على ترجمة.

[6]) موسى بن علي بن عزرة (ت٢٣٠هـ). عالم وفقيه، عمل بالقضاء في عهد الإمامين عبد الملك ومهنا بن جيفر.

[7]) تحفة الأعيان ج١، ص ١٩٤ ١٩٥.

[8]) المَصْنعة، هي الحصون. لسان العرب، مادة: صنع.

[9]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٣٥٩.

ويتخذونها ويتمنَّعون فيها فإنها تهدم وتُخَرَّب"[١]. لكن الشيخ لم يكتف برأيه في الرد، بل أراد أن يُدَعِّمَهُ باستحضار حادثة تاريخية حدثت في عهد النبي ﷺ وهي حادثة المسجد الضرار[٢] المشهورة.

وقبل توظيف الحادثة استشهد الكاتب بالآية القرآنية الدالة على تعريف المسجد بأنه ضرار، قال: "**وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ .. ﴾**[٣]. بعد ذلك ناصَّ الكاتب مع الحادثة فوظفها بما تحمله من رصيد حيٍّ في الوعي الجمعيِّ للقارئ، فالمسجد الضرار نصت عليه آية قرآنية، والذين اتخذوه هم المنافقون، والمستهدف هو رسول الله ﷺ، وهذه حقائق غير قابلة للتأويل أراد الكاتب من خلالها التثبت في رأيه الذي كرره في ختام السياق، قال: "**فبلغنا أن المنافقين اتخذوا هذا المسجد مرصدًا لقتل النبي ﷺ إذا مرَّ بهم، فبلغنا أن النبي ﷺ أحرقه. فإذا كانت هذه المَصْنعة مرصدًا للبغاة، جاز هدمها ونسفها**"[٤].

يُعَدُّ دور العلماء في توجيه السلطة التنفيذية في دولة الإمامة أبرز ما أفرزته التجربة العُمانية في قرنها الأول (١٧٧ ــ ٢٧٢هـ)، ومن هذه الأدوار ما قُدِّمَ في المجال العسكري نظرًا لما تعرضت له البلاد من صراعات عسكرية خارجية وداخلية. الشيخ منير الجعلاني بعث برسالة[٥] إلى الإمام غسان بن عبد الله (ت٢٠٧هـ) يحثه على تفعيل فريضة الجهاد للحفاظ على أمن البلاد واستقرارها وحماية مصالح المنطقة. ومن الأمور التي انتقدها في رسالته انحراف مفهوم الشراء عن أساسه الشرعي إلى النظرة المادية، وأن الشراة في الدولة الآن ينتسبون إلى التنظيم بغية الحصول على ميزات مالية واقتصادية، قال: "**وإنما الجهد والعمل في طلب جمع الصدقات لتؤكل بغير حقها (...) وذلك أن الرجل والنفر من الشراة يُبعثون إلى بلد من غروب عُمان أو**

---

[١]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٣٥٩.

[٢]) المسجد الضرار. قام نفر من المنافقين ببناء مسجدًا خارج المدينة، ظاهر أمره للضعفاء وأصحاب الحاجات في الليالي المطيرة والشاتية، وباطن أمره للقاء أصحاب السوء والذين يتأمرون على الإسلام، وكاد الرسول ﷺ ببشريته أن يصدق الأمر حتى نزل عليه الوحي فأمر بهدم المسجد وحرقه. انظر: محمد بن عمر بن واقد الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ج٢، ص ٤٢٠.

[٣]) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

[٤]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٣٥٩ و٣٦٠.

[٥]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٢٩.

شروقها فيكرهون [الخروج] أو يزاد لهم في الرزق، فيرون تلك الزيادة التي خرجوا [لها] ــ زعموا ــ جهادًا في سبيل الله وابتغاء مرضاته"[1].

توصَّل الشيخ منير في قناعته أن هذه المفاهيم لا يمكن ترسيخها وتطبيقها في مجتمعه إلا بالرجوع إلى آثار السلف واستحضارها في ذاكرة المتلقي لأنه يَعدُّها هُدْيَةً إلى تطوّر المجتمع العُماني وتطلعاته، ولهذا استعرض في مقدمة رسالته أهم المعارك التي خاضها المسلمون، وذكر منها: معركة صِفِّين[2] والنَّهروان[3] والنَّخيلة[4] ..، وأشار إلى بعض أعلامها فذكر عمَّار بن ياسرﷺ، وأبا بلال المرداس بن أدية، وعبد الله بن يحيى، والجلندى بن مسعود وقد وصفهم بأنهم: "**كانوا خرجوا جهادًا في سبيل الله وابتغاء مرضاته لا يريدون شيئًا من أعراض الدنيا ولا يخافون في الله لومة لائم**"[5]. ولكي تلقى أفكاره صدى في مجتمعه وعند الشراة خاصة للتقليل من النظرة المادية والركون إلى الدنيا، تناص الكاتب مع حال وضع الشراة الذين عايشوا تلك الأحداث التاريخية والمعارك التي تحدث عنها في مقدمته فقال: "**وكان المرء [من الشراة] يُرْزَق منهم في الشهر سبعة دراهم في غلاء من السعر، فيصبر على القوت اليسير رغبة في الآخرة والثواب من عند الله. وقد بلغنا أنه ربما فَضَلَ مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان فيتطوع بذلك الفضل فيرده في فيء المسلمين رحمهم الله وجزاهم خيرًا مع ما أظهروا من السنة**"[6].

هذا التناص الذي كوّنه الكاتب وسَّع صلاحية نصه، وأضفى عليه بعدًا تاريخيًا وحضاريًا مقرونًا بلون من الجلال والعراقة، لأنه تمثَّل بتلك الأحداث العسكرية

---

[1]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٤٦.

[2]) صفين. موضع من أعمال حلب بسورية، دارت به معركة بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان سنة ٣٧ هـ. انظر: كمال الدين بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دون طبعة ولا تاريخ، ج١، ص ٢٧٩ و٢٨٠.

[3]) النهروان. موضع بأرض العراق بالقرب من بغداد، وقعت به معركة بين الإمام علي بن أبي طالب ورافضي التحكيم سنة ٣٨هـ. انظر: أبو الفتح علي بن المطرز، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمد فاثوري، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩، ج٢، ص ٣٢٦.

[4]) النخيلة. موضع بالقرب من الكوفة بالعراق، تجمع به من تبقى من أهل النهروان فهاجمهم الإمام علي بن أبي طالب وقاتلهم حتى قتلهم جميعًا. انظر: أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، كتاب البلدان، مطبعة ليدن، ط١، ١٨٦٠، ج٢، ص ٢٦٤.

[5]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٣٥.

[6]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ٢٤٠.

التاريخية التي يرمز إليها ــ عند الحركة الإباضية على الأقل ــ على أنها المنارات التي حافظت على بقاء روح الإسلام متوهجة داخل الأمة الإسلامية. يقول أبو قحطان في رسالته السياسية عن تلك الأحداث: "**ولولا قتال أهل النَّهْروان وأهل النَّخيلة والمرداس وأصحابه لطفئ الإسلام..**"[١].

ويظل التناص مع الأحداث التاريخية ظاهرة بارزة في معظم الرسائل، وفي الرسائل العسكرية التي تناقش أحداثًا عسكرية داخلية يحاول كتَّابها التناص مع أحداث مشابهة، إما لتصحيح مفاهيم، أو لأخذ العبر، أو لإثبات حجج معينة. وهذا ما اتبعه الشيخ أحمد بن محمد بن صالح في رسالته[٢] التي انتقد فيها الإمام محمد بن أبي غسان (ق٦هـ) وأتباعه في حربهم على حي العقر بنزوى، واتهمهم فيها: بـ "**تخريب الديار وحرق المنازل بالنار، وإتلاف الأنفس من عبيد وأحرار ..**" [٣]. وحتى يُثَبِّتَ حجَّته عليهم تناصَّ مع حادثة عسكرية وقعت في عهد الإمام المهنا بن جيفر (٢٢٦ ــ ٢٣٧هـ)؛ إذ تمرَّد بنو الجلندى[٤] على الإمام وأعلنوا ثورتهم عليه في منطقة توام (البريمي) وسيَّر عليهم جيشًا فَهُزِمَ بنو الجلندى ووقعت أحداث خارجة عن السيطرة كان لها الأثر السيء في إمامة المهنا بن جيفر.

يقول الكاتب في تناصه: "**فإن احتججتم في جواز تحريق المنازل بالنار بتحريق دور بني الجلندى بتوام في أيام الإمام المهنئ [المهنا] فذلك أن أهل الفتنة[٥] خرجوا بغاة على المسلمين وقتلوا أبا الوضاح[٦] واليًا كان للمهنئ على توام، وكان أبو مروان[٧] واليًا على صحار فلما بلغه ذلك سار بمن معه من الناس وسار معه المطار**

---

[١]) السِّيَر والجوابات، ج١، ص ١١٢.

[٢]) كتاب الاهتداء، ص ١٩٠.

[٣]) كتاب الاهتداء، ص ١٩٠.

[٤]) بنو الجلندى قبيلة عُمانية كانت تناصر الدولة العباسية ويُعَيَّن منهم ولاة على عُمان، وبعد هزيمتهم أيام الإمام المهنا لم يذكرهم التاريخ بشيء. انظر تحفة الأعيان، ج١، ص ١٥٤ و١٥٥.

[٥]) يقصد بنو الجلندى وأتباعهم.

[٦]) أبو الوضاح، وقيل الوضاح، عالم فقيه، كان واليًا للإمام المهنا على البريمي.

[٧]) أبو مروان، والي للإمام المهنا بن جيفرعلى صحار، كلفه الإمام بقيادة فرقة من الجيش من صحار إلى البريمي لقتال بني الجلندى..

الهندي[١] ومن معه من الهند. فلما صاروا بتوام وهزم الله الفاسقين عمد المطار الهندي ومن معه من سفهاء الجيش إلى دور بني الجلندى فأحرقوها بالنيران، وفي الدور دواب مربوطة من بقر وغيرها"[٢].

هذا التناص استحضر حادثة دار حولها جدل كبير في الأوساط العسكرية والسياسية والفكرية العُمانية قروناً طويلة، وبقيت حاضرة في ذاكرة المجتمع حتى ذلك العصر، والذين ارتكبوا فيها التجاوزات هم جنود مرتزقة جاءوا من الهند، واستحضارها من قبل الكاتب ليس غاية في حد ذاته، لكنه استنطقها للشهادة على ما وقع من مخالفات عسكرية من قبل جيش بن أبي غسان على أهل حي العقر، وصفها الكاتب بأنها: "**أخبار موحشة مستعظمة وأحداث منكرة محرمة**"[٣]. إن توظيف هذا التناص في هذا السياق حقق للكاتب مقصده في تفنيد ما اتهم به بن أبي غسان وأتباعه بما يلي:

ــ الحرب التي احتجَّ بها كانت تحت قيادة إمام وصل إلى السلطة بالمشورة والتعاقد، بخلاف الإمام بن أبي غسان الذي قال فيه الكاتب: "**فإن قلتم إنكم دخلتم في هذه الأمور بحجَّة الإمام الذي نصَّبتموه ودعوته لمن حاربتموه، فإن كان الإمام عالمًا بأحكام الإمامة والولاية والبراءة وإلا فلا حجَّة لكم عند الله تعالى**"[٤].

ــ المجموعة التي شُنَّتْ عليها الحرب أيام المهنا هم بغاة وأهل فتنة وبدأوا بالقتال، فقتلوا والي الإمام.

ــ الأمور العسكرية المنكرة التي وقعت على آل الجلندى كانت خارج السيطرة قام بها أفراد من المرتزقة الهنود وسفهاء الجيش والإمام مهنا لم يقرها فشكَّل لجنة للتحقيق فيها وإنصاف المتضررين. يقول الكاتب: "**ثم بلغنا أن الإمام بعد ذلك بعث رجلين إلى القوم الذين أحْرِقَتْ منازلهم يدعوهم إلى الإنصاف وأن يُعْطَوْا الحق الذي وجب لهم**"[٥].

---

[١]) المطار الهندي. لم تشر إليه المراجع التي وقفتُ عليها، ولعله قائد لمجموعة من المرتزقة الهنود الذين كان يتم تجنيدهم لغرض معيَّن، أو ربما تكون هناك معاهدات بين دولة الإمامة والهند لتوفير مقاتلين هنود في صحار، علمًا أن عُمان تصدَّت لقراصنة البحر في المنطقة منذ عهد الإمام غسان بن عبد الله (ت٢٠٧هـ).

[٢]) كتاب الاهتداء، ص ١٩٤.

[٣]) كتاب الاهتداء، ص ١٩٠.

[٤]) كتاب الاهتداء، ص ١٩٠.

[٥]) كتاب الاهتداء، ص ١٩٣.

الخاتمة:

ظاهرة التناص بمعناها العام ليست جديدة على التراث العربي وإن اختلفت المفاهيم والأساليب والمصطلحات الحديثة، فلطالما تأثر اللاحق بالسابق سواء باللفظ أو المعنى، وهذا دليل على انفتاح الاجناس الأدبية ببعضها منذ القدم. لكن ما يميِّز تطبيق مفهوم التناس في دراسة التعالق بين النصوص هو تأثيره في توجيه القارئ سواء كان القارئ الحقيقي أو الضمني إلى تنشيط ذاكرته وإحالته إلى نصوص أخرى تختفي وراءها المعاني المراد توصيلها، وهذا المفهوم كان بارزًا في السِّيَر (الرسائل) العُمانية توصَّلنا إليه من خلال دراستنا للتناص مع القرآن الكريم والأحداث التاريخية.

ويُعَدُّ التناص من المفاهيم النقدية الأساسية في الوقت الحاضر، ولقد درسنا تعالق نصوص الرسائل العُمانية القديمة مع النصوص الأخرى تحت هذا (المصطلح)، وإن أكثر مصادر التناصِّ في رسائل مدوّنتنا هو القرآن الكريم لأن التناصَّ القرآنيَّ يخلق للنص روحًا فنِّيَّةً، ولقد تعدَّدت أنواع التناصِّ مع القرآن الكريم في ظواهرها، فأحيانًا يتناص الكاتب مع مفردة قرآنية، وأحيانًا مع تركيبة، ويمكن أن يقتبس آية أو جزءًا من آية أو سلسلة من الآيات حسب الغاية التي يرغب في الوصول إليها والإيحاء المراد توصيله للمتلقي. ومن مصادر التناص التي درسناها أيضًا "التناص مع الأحداث التاريخية"، إذ استلهمها الكتَّاب ليعبِّروا بها عن مضمونات الأحداث التي يناقشونها في نصوصهم، ويستشهدون بها في آرائهم، فحققت لهم مقاصدهم لما تتمتع به من رصيد حيٍّ في الوعي الجمعيِّ، كما حسنت رسائلهم بصبغة أدبية ملحوظة.